فلا يستغربنّ احد رؤية كهول الانكليز يمرنون ابدانهم كانهم فتيان لان التدبير الصحي واجب في كل حال ولم يقدّم علم الابدان على علم الاديان الّا ليتقرّر في النفوس وجوب الاعتناء بصحتها

الاعتقاد بالمعاد

من مقالة للمستر غلادستون الشهير

[كتب الاستاذ تشين العالم باللغة العبرانية والعقائد الدينية مقالة في الخلود في جريدة دينية تطبع بمدينة كلكتا قال فيها انهُ رأى في بعض المزامير ما يدلُّ على الخلود وذهب الى ان هذه المزامير أُلّفت في اواخر مدة تسلّط الفرس على بلاد الشام و بالتالي ان الاعتقاد بالمعاد مقتبس منهم وانهُ من مخترعات البشر وما استدلوا عليهِ استدلالاً بارتقائهم . فردَّ عليهِ المستر غلادستون حاسبًا ان الاعتقاد بالمعاد قديم جدًّا وان الله سبحانهُ اوحى بهِ الى البشر منذ القدَم ثم ضاع منهم على تعادي الزمان وتقدُّم العمران وهاك خلاصة ادلتهِ]

ان تقدم العمران لم يقوِّ الاعتقاد بالعناية الالهية بل اضعفهُ على ما ارى . خذ مثلاً لذلك هوميروس الشاعر وهيرودوتس المؤرخ فانهما كليهما رجلان فاضلان وبينهما عدة قرون ولكن الاعتقاد بالعناية الالهية اظهرُ في كتابات الاول منهُ في كتابات الثاني حتّى اذا بلغنا ثيسيديدس المؤرخ الذي نشأ بعد هيرودوتس بنصف قرن رأينا كتاباتهِ خالية من كل اثر ديني بل خالية من الاعتقاد بقوة خالقة . ومعلوم ان بلاد اليونان تقدّمت تقدُّمًا عظيمًا في العمران بين زمان هوميروس وثيسيديدس ولكنها اضاعت الاعتقاد بالعناية الالهية حتّى ان ارسطوطاليس أبعدَ الاله عن البشر بُعدَ السماء عن الارض لما اعترى بصائر الناس من العجز والقصور ولا بدَّ من انها اضاعت الاعتقاد بالمعاد كما اضاعت الاعتقاد بالعناية

اما النتائج التي قادني البحث اليها فهي

اولاً ان تصورات الانسان من قبيل المعاد لم تتقدّم بتقدُّم العمران بل تقهقرت بتقدمهِ

ثانيًا ان في التوراة ادلةً اخرى غير ما في المزامير على ان بني اسرائيل كانوا يعتقدون بالمعاد ولو لم تكن هذه الادلة كثيرة جليّة

ثالثًا ان الدين الموسوي لم يُقصَد بهِ حفظ الاعتقاد بالمعاد بنوع خاص ومن المحتمل

ان بعض الاديان الاخرى كانت اشدّ منهُ محافظةً على هذا الاعتقاد

اما القضية الاولى فالبحث فيها محفوف بالمصاعب لان الديانة اليونانية التي يمكن تأثّرها في اطوارها المختلفة بما بقي من مؤلفات اهلها لا تعلّم بالمعاد تعليمًا واضحًا . والديانة الاشوريّة التي يرجى ان يُعلَم تاريخها في مدة طويلة لم تتعرّض كثيرًا لامر المعاد كما قال رولنصن . واذا التفتنا الى ديانة المصريين القدماء والفُرس وجدنا وسائط المقابلة بين حالتها القديمة والمتأخرة ناقصة جدًّا ولكنها لا تخلو من الفائدة فديانة الفرس كانت في اول امرها ثنويّة تعلّم بوجود مبدأين مجرّدين مبدإ الخير ومبدإ الشرّ ثم جعلتهما شخصين متناقضين ثم ساد مذهب المجوس في البلاد . وكانت الديانة القديمة تعلّم بالمعاد والجزاء ولكن لما كتب هيرودوتس ما كتبهُ عن ديانة الفرس وصف ديانة المجوس وطرق عبادتهم وكأنهُ لم يعرف شيئًا عن ديانة الفرس القدماء الاّ انها كانت خالية من المباكل والمذابح والاصنام وكانت قد صارت ديانة الحكومة ولم تعُد ديانة الشعب اي تقلّص ظل الديانة العقلية المجرّدة وشاعت الديانة الرمزيّة بدلاً منها . ولا دليل هنالك على تقدّم الاعتقاد بالمعاد بل يظهر ان هذا الاعتقاد انطوى تحت حجاب النسيان . وكانت العلاقة بين الفرس واليونان شديدة جدًّا حتّى ان كثيرين من كتّاب اليونان ومنهم ارسطوطاليس ننسهُ كتبوا عن ديانة الفرس والمرجح انهم لم يكتبوا عن الديانة القديمة بل عن الحديثة ولم يُشرْ الى المعاد الاّ واحد منهم فقط مع ان الاعتقاد بهِ كان شائعًا في ديانة الفرس القدماء كما سيجيء

وكانت العلاقة السياسية بين اليونان ومصر شديدة في العصور السابقة لعصر التاريخ . وقد عُلم الآن ان الاعتقاد بالمعاد كان راسخًا في نفوس المصريين الاقدمين ولكن هيرودوتس افرد اكثر من اربعين فصلاً من كتابهِ الثاني لوصف ديانتهم وشعائرهم ولم يذكر فيها اعتقادهم بالمعاد مع انهُ ذكر معتقدهم القديم في مكان آخر من كتابهِ

وهجا جوفنال ديانة المصريين في عصرهِ ولو كان المعاد مشهورًا فيها حينئذٍ لذكرهُ على الارجح . وقد رأيت في كتابات فلوطرقس ما يشفُّ عن ان كهنة المصريين كانوا قد خجلوا مما في ديانتهم عن اوسيرس وهوانهُ يقضي للاموات ويحاسب كل احد بحسب اعمالهِ كأنهم حسبوا ذلك خرافة لا تليق بعصرهم . وكتب ايامبليكوس في عصر قسطنطين عن الديانة المصرية واحلّها محلاًّ رفيعًا ولكنهُ لم يذكر شيئًا من امر تعليمها بالمعاد وذلك كلهُ دليل على ان التعليم بالمعاد الذي كان جزءًا جوهريًّا من ديانة المصريين القدماء اختفى منها على توالي الايام والاعوام

وهذا كان شأن اليونان ايضاً مع انهم لم يعتقدوا بالمعاد في عصر من العصور اعتقاداً راسخاً كما اعتقد بهِ المصريون والاشوريون في اول امرهم . فان الهاوية التي ذكرها هوميروس في الاودسي مستعارة من ديانة المصريين والاشوريين كما يستفاد من وصفها ولذلك جعلها وراء الاوقيانوس . والاسم الذي ذُكر في الايلياد لدار الاموات وهو رادامنتوس يظهر انهُ محرَّف من اسمها المصري وهو امنتي . وذكر هوميروس اسم مينوس وقال انهُ يقضي بين الارواح والاسم مصريٌّ كما لا يخفى . ولا بدَّ من ان الاعتقاد بالمعاد كان شائعاً في عصرهِ والاَّ ما ادخلهُ في شعرهِ . ولكن لم تدم الحال على هذا المنوال لان الاعتقاد بالمعاد زال من عقول اليونانيين رويداً رويداً حتَّى صار بعض فلاسفتهم ينكر الوجود

وخلاصة ذلك كلهِ ان الاعتقاد بالمعاد لم يزد رسوخاً بتقدُّم البشر بل زاد غموضاً حتَّى كاد يختفي . ولا دليل على ان بني اسرائيل اقتبسوهُ من الفرس في سبيهم لان سبيهم كان بابليًّا والفرس ابطلوهُ وردوا اليهود الى بلادهم ثم ان الفرس كانوا في ذلك العصر قد ابطلوا مذهب زرواستر الذي يعلِّم بالمعاد واستعاضوا عنهُ بمذهب المجوس

هذا من جهة القضية الاولى اما القضية الثانية وهي ان في التوراة ادلة أُخرى على الاعتقاد بالخلود فواضحة من قصة اخنوخ الذي يقال ان الله نقلهُ فان معنى الكلمة العبرانية مأخوذ من نقل الشجرة وغرسها في مكان آخر . ومن قصة ايليا الذي قيل انهُ نُقل الى السماء بمشهد خمسين من ابناء الانبياء فان بني اسرائيل صدقوهُ واعتقدوهُ الى عصرنا هذا فهل يصدَّق ان الامة التي اعتقدت بانتقال ايليا الى السماء بجسدهِ تحسب ان لا معاد وان وجود ايليا تلاشى حين نُقل الى السماء

والعرافة التي كان بنو اسرائيل يعتقدون بها تدلُّ على انهم كانوا يعتقدون بالمعاد ايضاً كما يظهر من قصة عرَّافة عين دور . واختلاف الشرَّاح من اليهود والمسيحيين في امر هذه القصة لا يمس الحقيقة المتقدِّمة وهي ان بني اسرائيل كانوا يعتقدون بان النفس لا تموت بموت الجسد . ولا يظهر من التوراة ان في دار الخلود عقاباً وثواباً بنوع صريح مع ان فيها ادلة كثيرة على ثواب الابرار وراحتهم . وجهد ما اريد اثباتهُ ان بني اسرائيل كانوا يعتقدون بالخلود قبل السبي وبعدهُ وبما ان الاعتقاد بالله تعالى وبقربهِ من البشر كان اقوى قبل السبي منهُ بعدهُ فالمرجح ان الاعتقاد بالمعاد كان قبل السبي اقوى منهُ بعدهُ ولا دليل على ان اليهود تعلموا شيئاً يقينيًّا عن الخلود بعد السبي مما كانوا يجهلونهُ قبلهُ لا من البابليين ولا من الفرس

واما من جهة القضية الثالثة فاذا سلمنا ان الاعتقاد بالمعاد لم يكن صريحًا في التوراة ولا هو من الفرائض التي كُلِّف بنو اسرائيل الاعتقاد بها فهل كان بين بقية امم الارض شيء يدعو الى حفظ هذه العقيدة والجواب على ذلك بالايجاب . وفي التوراة ادلّة كثيرة على ان الله سبحانهُ لم يحصر وحيهُ بامة اليهود ولا بما كُتب في التوراة ومنها قصة ملكي صادق وزواج يوسف الصديق بابنة كاهن اون وزواج موسى بابنة كاهن مدين واعطاء جانب من ارض الموعد للكنعانيين وسيرة بلعام وراعوث المؤابية . ولكن الذين تمسّكوا بالتوراة اخذوا فيها جانب الجدل فحكموا ان الله لم يختر سوى شعب واحد . ثم ان المباحث الحديثة في آثار الاشوريين والمصريين قد ابانت لنا انهم كانوا يعلمون امورًا دينية ما نعلم نحن الآن ولم يكن معروفًا عند اليهود كما كان معروفًا عندهم وهذا دليل على وجود وحي سابق اتصل بذينك الشعبين قبل ايام موسى الكليم ومن قبيل ذلك الاعتقاد بالمعاد فانهُ مثبت واضح في ديانة المصريين والايرانيين القدماء والشعبان ليسا من الشعوب السامية التي خصت بكثير من العقائد الدينية

اما المصريون فقالوا بالمعاد والدينونة وان اعمال الانسان توزن في ميزان الحق ثم يؤتى به لبدان امام اوسيرس . وكان المصريون القدماء يتبعون الفضيلة مخافة الدينونة الاخيرة التي يدانون بها عما ارتكبوهُ من الجرائم وعما اهملوهُ من الواجبات . وكان جزاء الابرار عظيمًا يفوق الوصف وعقاب الاشرار شديدًا فيُحكَم عليهم بالتقمص في ادنى انواع الحيوانات . ورسوم معتقدهم هذا منقوشة في اقدم آثارهم والظاهر ان عقيدتهم ضعفت مع الزمان ولكن بقي جوهرها على حالهِ الى ايام فيثاغورس وافلاطون للذين تعلّما عقيدة الخلود منهم

والاعتقاد بالدينونة والثواب والعقاب ظاهر ايضًا في ديانة الفرس القدماء فانهم كانوا يعتقدون بقيامة الاجساد ويقولون ان نفس الميت تدنو من جسر مكان الحشر (شيوات) في اليوم الثالث من الممات تحيط بها الارواح الصالحة من جهة والطالحة من اخرى ويحاسبها الاله هرمزد نفسة عما فعلت . وتعبر النفوس الطاهرة السراط الى السماء مع جماعة الصالحين واما النفوس الخائفة فلا تجد صديقًا فتعود بها الارواح الشريرة الى الهاوية . ولكن يظهر من فصل في تاريخ هيرودتس ان هذه العقيدة ضعفت في ايام الملك كمبيسس

وجملة القول ان في تاريخ البشر ادلّة قوية على ان عقيدة الاقدمين بالمعاد كانت اقوى من عقيدة الذين جاؤوا بعدهم وان ارتقاء الناس في الحضارة لم يقوِّ هذه العقيدة بل اضعفها فرسوخها في نفوس الاقدمين لم يكن نتيجة ارتقائهم فلا بد من انها اتصلت اليهم بالوحي الالهي